النّهضة العلميةّ وأثرها في اللّسانيّات المتمثّلة بالتّداوليّة

م. م. منى علي عبد أبو نايلة
قسم اللغة العربية/ كلية التربية/ الجامعة المستنصرية/ بغداد- العراق
muna.ali.abd@uomustansiriyah.edu.iq

الملخّص

شاركت النّهضة الحديثة في التّأثير على اللّغة كغيرها من أنماط الحياة وربما أشدّها كون اللّغة وسيلة التّواصل، ووسيلة تحقيق الغايات فمن خلال بنيّاتها اللّغويّة المتمثّلة بالملفوظات يتحقّق التّواصل المثمر وبالتّالي يتحقّق الاستمرار؛ إذ قدّمت لها أدوات طوّرت منهاجها كما طوّرت وسائل تطبيقها فضلًا عن استحداث مناهج جديدة غيّرت نمط دراستها، وبما أنّ اللّغة أداة بشريّة لتبيان أفكارنا وتقاليدنا وعاداتنا ولحمل المتخاطبين على التّأثر والتّفاعل مع هذه القضيّة أو تلك فقد تمازجت وتداخلت مع العلوم والمعارف الأخرى كعلم النّفس والاجتماع وعلم الاتّصال والفلسفة حيث كان للأخير دوراً مهّمًا في بلورتها واتّساعها كون اللّغة ظاهرة فلسفيّة تعكس عقولنا وما فيها وتساهم في تحديد تواصلنا وعلاقتنا مع العالم الخارجيّ، فقد الدّراسات الفلسفيّة المتمثّلة بعلمائها في ظهور نظريّات ومناهج جديدة جُمعت جميعها تحت مفهوم (اللّسانيات) وفي بحثنا هذا سنتطرق بشكل مباشر ومفصل للمنهج التّداوليّ التّفاعليّ وتبيان تأثير النّهضة العلميّة عليه وعلى الجوانب النّظريّة والمنهجيّة والاجتماعيّة والثقافيّة والتّطبيقيّة في أنساقه ومفرداته أي أنّ هذا البحث سيكون بمثابة دراسة مخصّصة

حول تأثير النّهضة العلميّة على المنهج التّداوليّ، في محاولة لفهم التّأثيرات الّتي حدثت على اللّغة في العصر الحديث.
الكلمات المفتاحية: النّهضة العلميّة، اللّسانيّات، التّداوليّة، الفلسفة التّحليليّة.

Abstract
The modern renaissance has significantly influenced language, much like other aspects of life, given that language is both a means of communication and achieving goals. Through its linguistic structures, communication fosters productivity, ensuring continuity. It has introduced tools that have contributed to the development of its applications and methodologies, even prompting the creation of new curricula that altered its study patterns. Language, being a human tool, reveals our ideas, traditions, and habits, influencing communicators to interact with various sciences and knowledge fields like psychology, sociology, communication science, and philosophy. These disciplines played a crucial role in shaping and expanding linguistic phenomena philosophically, reflecting our minds and contributing to defining our communication and relationship with the external world. Philosophical studies by its scholars have led to new theories and methodologies collectively known as linguistics. This research directly and extensively addresses the interactive exchange curriculum and the scientific renaissance's effect on it and its theoretical, methodological, social, cultural, and practical aspects in its formats and vocabularies, respectively.
Keywords: scientific renaissance, linguistics, discourse analysis, analytical philosophy

المقدمة

تشهد الدّراسات اللّغويّة تطورات متسارعة في العصر الحديث أصبحت اللّغة لا تدرّس فقط من حيث بنيتها وتركيبها، بل وأيضًا من حيث وظيفتها في السّياقين الاجتماعيّ والثّقافيّ. في هذا السّياق، تبرز النّهضة العلميّة كمرحلة مهمّة في تاريخ الفكر الإنسانيّ، حيث أثرت بشكل كبير على مختلف العلوم، بما في ذلك اللّسانيات. تهدف هذه الدّراسة إلى استكشاف أثر النّهضة العلميّة على اللّسانيّات، مع التّركيز على المنهج التّداوليّ ونظرياته. سنناقش في المبحث الأوّل النّهضة العلميّة وأثرها في تطوير المفاهيم والمناهج اللّغويّة، وكيف أثرت بفهمنا للّغة كأداة للتّواصل والتّفاعل الاجتماعيّ. سنستعرض أيضًا في المبحث الثّاني دور رواد النّهضة اللّغويّة في تشكيل الفكر اللّغويّ الحديث، ثمّ المبحث الأخير إذ سنتطرّق فيه إلى توضيح تأثير النّهضة على تطور اللّسانيّات في العصر الحديث.

المبحث الأوّل: المنهج التّداوليّ

منهج ألسنيّ ظهر في العقد السّابع من القرن العشرين لتحليل الخطابات والمنطوقات يعتد بحزمة من العناصر اللّغويّة وغير اللّغويّة لفهمها ولمعرفة مراد المتكلّم منها.

التّداوليّة بأبسط دلالاتها هي (دراسة المعنى الّذي يقصده المتكلّم) (العتابيّ0، 2010، صفحة 19) أو هي (هي منهج يسعى إلى دراسة الكفايّة والإنجاز في النّظام اللّسانيّ (الجيزانيّ، 2019، صفحة 53).

هي المنهج الذي (يُعنى بدراسة اللّغة في الاستعمال عبر التّواصل القائم والمعنى الحاصل من خلال ثنائيّة المتكلّم والسّامع في السّياق الماديّ والاجتماعيّ واللّغويّ الجامع لهما) (كنون، 2015، صفحة 43) أو هي مذهب لسانيّ يدرس علاقة النّشاط اللّغويّ بمستعمليه وكيفيات استخدام العلامات اللّغويّة بنجاح

والسّياقات والطّبقات المقاميّة المختلفة الّتي يُنجز ضمنها الخطاب) (صحراويّ، 2005، صفحة 5).

ينماز المنهج التّداوليّ عن غيره من المناهج الّتي تُعنى بدارسة المنطوقات والخطابات اللّسانيّة وأهميّة البشر في عمليّة التّواصل؛ لأنّها تعتمد على ما يقوله المتكلّمون وما يقصدونه لكنّها على الرّغم من ذلك لا تهمل الجانب التّركيبيّ فهي تعتدّ به وتعتبره الأساس في عملية التّخاطب وهذا ما سيبدو لنا جليًا ومفهومًا من خلال الحديث عن نظريّة الأعمال اللّغوية وأفعالها (الجيزانيّ، 2019، صفحة 5).

بدأ العلماء الإفادة من هذا المنهج في قراءة التّراث بشكل أكثر دقّة ووضوح بحيث أُعطي ذلك التّراث هيئة جديدة ينتقل فيها المعنى من سطوة دلالة الألفاظ والتّراكيب المعجميّة الحرفيّة إلى دلالة المقام وما يتعلّق به من صلات سياقيّة (إسماعيل، 2017، الصفحات 26-27) بمعنى أنّ اللّغة بما فيها من ألفاظ وخطابات قد تحدّدت بالاستعمال الّذي يتميّز بالتّغير والتّباين في كلّ مقام وهو ما كان واضحًا فيما طرحه الفيلسسوف (فتغنشتاين) وأسماه (ألعاب اللّغة) أكّد كون الألفاظ أجزاء من اللّغة تتحدّد بسياقات استعمالها، وقواعدها؛ لذلك فهي ذات مواقع متغيّرة (معنى اللّفظ هو بمثابة سؤالنا عن كيف يستعمل هذا اللّفظ في ألعاب اللّغة وهذا بدوره يتطلّب تذكر السّياقات) (ينظر: استراتيجيات الخطاب (مقاربة تداوليّة لغويّة)، 2015، صفحة 46)

وردت بمصطلحات عدّة منها التّداوليةّ والمقاميّة والنّفعيّة والذّرائعيّة والنّفعيّة والفائداتيّة فضلاً عن تسميتها بعلم الاستعمال (نايلة، 2012، صفحة 6) المصطلح الأشهر هو التّداوليّة، والتّسميّة مأخوذة من التّداول والتّداول تفاعل يلزمه طرفان على أقل تقدير مرسل ومستقبل وكلّ تداول تحكمه آليات وظروف وعوامل تحيط به لذا فالتّرجمة لها ما يبرّرها (الرّوهانيّ، 2006، صفحة 33) كان أوّل من استعمل هذا المصطلح هو العالم المغربيّ "طه عبد الرّحمن" إنّي

وضعت هذا المصطلح في منذ عام 1970 في مقاب البراغماتكس ولو أن الغربيّين علموا بوجود هذه اللّفظة في العربيّة لفضلوها على لفظة "براغماتكس" الّتي صادفتها في اهتمامي بالتّميز بين التّركيب والدّلالة والتّداول (الرّحمن، البحث اللّسانيّ والسيميائيّ، 1984، صفحة 299)

يُرجع العلماء الاستعمال الأوّل لمصطلح "البراكماتكس" إلى الفيلسوف الأمريكيّ "تشارلز ماريس" إذ يؤكّد أنّ للمنطوقات دلالات مختلفة تتحدّد من ثلاثة فروع في البنيّة اللّغويّة:

1- التّركيب ويكون بدراسة العلاقات الشّكليّة للعلامات الواحدة مع الأخرى.

2- الدّلالة وهي دراسة العلاقات الشّكليّة للعلامات مع الأشياء أو الموجودات الّتي يمكن أن تطبقها.

3- التّداوليّة وهي دراسة علاقة العلامات بمؤوليها. (عكاشة، 2013، صفحة 9).

أمّا عن تحديد مجالات استعمالاتها فلا يمكننا ذلك إلا إذا عرفنا مجالات اشتغالها و اهتمامها بوصفها حقلاً لسانياً استمد أفكاره، وكورها من منافذ علميّة متنوعة. فالتّداوليّة خضعت لتراكمات نظريّة وتجريبيّة جعلت من التّشابك والتّباين علامات وسمات تتنافذ في جوف نظرياتها، هذا التّشابك والتّباين يعودان إلى تعرض التّداولية لمناهج وآراء مختلفة من قبل علماء اللّغة والنّفس والفلسفة والأنثروبولوجيا وغيرهم. لهذا يصير من الضّروري تحديد موضع الاهتمام وإشخاص المقولات التّصوريّة والإصطلاحيّة في التّداوليّة، فضلًا عن ذلك يهدف هذا التّحديد إلى توضيح كيفية تطبيق التّداوليّة في تحليل الخطابات اللّغويّة وتحديد الأفعال الكلاميّة الواردة فيها وتبيان قوتها التّأثيريّة، كما يهدف إلى تحديد كيفية استخدام التّداوليّة في فهم السّياق والمقام اللّغويّين.

بشكل عام يصبح من الضّروري تحديد موضع الاهتمام وإشخاص المقولات التّصوريّة والإصطلاحيّة في التّداوليّة لتوضيح المفاهيم التّداوليّة وتحديد مجالات اشتغالها وأحياز اهتمامها. هذا التحديد يهدف إلى تحديد العلاقات بين التداولية والمناهج العلمية الأخرى، وتوضيح كيفية تطبيق التداولية في تحليل النصوص

اللّغويّة وتحديد المعنى اللّغويّ لذلك تنوعت مجالات استعمالها واختلفت بحسب طرائق تدريسها وتحليلها فهي تغنى بدراسة أفعال الكلام بقسيميها المباشرة وغير المباشرة والاستلزام الحواريّ ومبدأ التّعاون وأحكامه ونظريّة المناسبة والاقتضاء التّخاطبيّ وتحليل الخطاب والاشاريّات بأنواعها الزّمكانيّة والشّخصيّة وغيرها (درقاويّ، 2017، صفحة 21)

مجالات التّداوليّة ونظرياتها

1. نظريّة الأفعال الكلاميّة:

تعدّ هذه النّظريّة من أبرز المفاهيم التّداوليّة وأكثر مجالًا لاشتغالها هي لغويّة فلسفيّة تدرس كيفية استخدام اللّغة في التّواصل والتّفاعل اليوميّ. أساس هذه النظرية قائم على أن اللّغة ليست فقط أداة لتبادل المعلومات، ولكنّها وسيلة لتنفيذ الأعمال اللّغويّة، مثل الطلب، والتعليم، والوعد، والتهديد. وقد عرفها "ديفيد كريستال "فقال: مصطلح مستمر من أعمال الفيلسوف "ج. ل أوستن" ويستعمل الآن على نطاق واسع في اللّسانيّات لتشير إلى تحليل دور الملفوظات المتعلّقة بسلوك المتكلّم والسّامع في التّواصل الشّخصيّ (نايلة، 2012، صفحة 19)

هي أيضا (ترسّخ تحليل اللّغة والدّلالة في التّناول الّذي يعنى بقول المتكلّم والّذي يعدّ بمثابة عمل حقيقيّ أي أنّ الحدث المادّيّ يضاهي العمل المنجز بواسطة اليد على سبيل المثال) (حباشة، 2007، صفحة 55).

قد مرت في مرحلتين

1- مرحلة التّكوين وهي الّتي بدأت على يد الفيلسوف "جون أوستن" من خلال محاضرات الّتي ألقاها في الجمعيات والمؤتمرات وجمعت بعد وفاته ونشرت في كتاب (كيف نصنع الأشياء بالكلمات) (بابيتي، 1994، الصفحات ج1 - 217)

2- مرحلة الإدراك وهي الّتي بدأت على يد الفيلسوف الأمريكي "جون سيرل" إذ أكّد في كتابه (الأفعال الكلاميّة) أهمية هذا المفهوم قائلًا: إنّ سبب التّركيز على

دراسة الأفعال الكلاميّة هو بسهولة أنّ كلّ التّواصل اللّسانيّ ينطوي على أفعال لغويّة فليس وحده الاتصال اللّغويّ كما كان يُعتقد عموما بأنّها الرّمز أو الكلمة أو الجملة أو حّتى الرّمز المميّز أو الكلمة المميزة أو الجملة المميزة بل بل هي إنتاج أو إصدار الرّمز أو الكلمة أو الجملة في إنجاز أفعال الكلام (نايلة، 2012، الصفحات 21-22)، أمّ عن المفاهيم الأساسيّة الّتي قامت وطبّقت على أساسها فهي:

1- الأفعال الكلامية أو الأعمال اللّغوية: هي أفعال يتمّ إنجازها من خلال استخدام اللّغة، مثل الطّلب، والوعد، والوعيد... إلخ (مرتاض، 2010، صفحة 406).

2- التّواصل والتّفاعل: وهما قائمان على تبادل المعلومات والأفكار بين الأشخاص من خلال اللّغة.

3- التّأثير الاجتماعيّ: هذا قائم على التّجاذب بين الأشخاص في المجتمع والتّأثير والتّأثُر من خلال استخدام اللّغة (جبر، 2019، صفحة 208).

أنواع الأفعال الكلاميّة:

1- الأفعال الكلاميّة المباشرة: هي أعمال كلاميّة يتمّ إنجازها بشكل مباشر كون المنطوقات فيها صريحة خاليّة من المعاني المضمرة، مثل الطّلب، والتّعليم (الغانميّ، 2006، الصفحات 217-218).

2- الأفعال الكلاميّة غير المباشرة: هي أعمال كلاميّة يتمّ تنفيذها بشكل غير مباشر لأنّ الملفوظات حاويّة على معانٍ ضمنيّة، مثل الوعد، والتّهديد (عليويّ، 2011، صفحة 210).

أهميّة نظريّة الأفعال الكلاميّة:

1- فهم التواصل: نظرية الأفعال الكلاميّة تساعدنا على فهم كيفية استخدام اللغة في التّواصل والتّفاعل الاجتماعيّ.

2- تحليل اللغة: نظرية الأفعال الكلاميّة تساعدنا على تحليل اللّغة وتأويل منطوقاتها ممّا يساعدنا على فهم كيفية استخدام اللّغة في حياتنا.

2. الإستلزام الحواريّ:

مفهوم يصف العلاقة بين التّراكيب في الحوار وتأثيرها على المعنى. يعتمد الاستلزام الحواري على السّياق والتّفاعل بين المتخاطبين"، عراب هذه النّظريّة هو الفيلسوف "بول غرايس" حيث أكّد في محاضراته أنّ النّاس يعنون ما يقولون وقد يعنون عكس ما يقولون وقد يعنون أكثر ممّا يقولون، أي أنّ الملفوظات تحوي معانٍ متبايّنة.

تعدّ نظريّة الاستلزام الحواريّ محور الدّراسات التّداوليّة كونها تساهم في سد الفجوة بين الأقوال ومعانيها المضمرة فهي أشياء تقال بعبارات مقنعة وأراء وأفكار مبطّنة ومضمونة تحت الأسطر وبينها تفرض على المخاطب التّفكير في شيء له صلة بما قيل (النّاجح، 2015، صفحة 203)

من مميزات هذا المعنى أنّه خفي بمعنى أنّه غير مذكور أو غير معبّر عنه صراحة لكنّه ثابت استلزمًا ينشأ مع المعنى الأصليّ العبارات اللّغويّة، فبمجرد ذكر معنى من المعاني يدعو ذلك إلى تولد هذه الدّلالة وتكوّنها ممّا يعني أنّ التّواصل اللّغويّ يحتضن إلى جانب مستوياته اللّغويّة مستويات خارجيّة مقاميّة ونفسيّة عامّة تشترك جنبا إلى جنب مع مكونات اللّغويّة في عملية التّخاطب اللّغويّ يجعلها تولِّد مجتمعة معان إضافيّة إلى جانب المدلول الأصليّ للعبارات (نايلة، 2012، صفحة 86)، يكون هذا المعنى المستلزم على نوعين

1- الاستلزام الحواريّ المعمم. هو الّذي لا يحتاج إلى سياق يتمّ عن طريق البنيات اللّغويّة ونوع مخصّص تمثلها النّكرات وبعض ألفاظ التّعميم والتّخصيص وبعض السّلالم اللّغويّة (أدواريّ، 2011، صفحة 34)

2- الالتزام الحواريّ المخصّص القائم على مبدأ التّعاون المتمثّل بالقواعد التّخاطبيّة و مفاده أنّ المتخاطبين يتعاونون فيما بينهم لإنجاح الحوار وإدامته

للوصول إلى المطلوب وهذا ينفي تداخل صفة الإكراه والقمع في حواره من حيث أنّ هدفه الأساس قائم على حثّ المخاطب على مشاركته في الحوار لطلب الحقائق والحلول والمعارف واتخاذ القرارات فضلا عن التّوجه بها للعمل (الرّحمن، أصول الحوار وتجديد علم الكلام، 2000، صفحة 38) حيث أنّ هذه القواعد تتعلّق بكم المعلومات المتلفّظ بها وبمعيار الصّدق والمناسبة مع السّياق الّذي حصل فيه الخطاب بالإضافة إلى الكيفيّة الّتي أسّست عليها وهي مبتكرات لتسهيل عملية التّواصل (الشّهريّ، 2015، صفحة ج2، 203).

أهمية الاستلزام الحواريّ:

1- إدراك المقاصد وفهم السّياق: الاستلزام الحواريّ يعيننا على فهم السّياق وطرق التّفاعل بين المتحدّثين باللّغة لمعرفة مقاصدهم وغاياتهم.

2- تحليل الخطاب: فهو يعيننا على تحليل الحوار وفهم العلاقات بين البنيات اللّغويّة.

3- التّواصل المثمر والفعّال: الاستلزام الحواري يعيننا على تحقيق تواصل فعّال من خلال تأويل الملفوظات وفهم العلاقات بين التّراكيب المختلفة في الحوار.

الافتراض السّابق:

يعرف بأنّه حقيقة أو حالة تتضمّنها الجملة ويفترض أن تكون مفهومة عند المخاطب ولكنّها لم تذكر على نحو واضح على سبيل المثال بيان ما يحتوي العبارة(عمّي) سيتضّمن بأنّ المتكلّم لديه عمّ (نايلة، 2012، صفحة 108) وتصنّف في خانة الافتراضات كلّ المعلومات الّتي وإن لم تكن مقررة جهرا أي الّتي لا تشكّل مبدئيًا موضوع الخطاب بالكلام الحقيقيّ الواجب نقله إلّا أنّها تنتج تلقائيا من صياغة القول الّتي تكون مدونة فيه بشكل جهوريّ بغض النّظر عن خصوصيّة النّطاق التّعبيريّ الأدائيّ (خاطر، 2008، صفحة 48)

أهمية الافتراض السّابق:

1- تحديد السّياق: فهو يعيننا على تحديد السّياق وفهم مقاصد من خلال فهم المعلومات التي يفترضها المتحدث أو الكاتب.

2- التّواصل الفعّال: كونه يعيننا على تحقيق التّواصل الفعّال بوساطة فهم المعلومات الّتي يفترضها المتكلّم.

3- تحليل الخطاب: فهو يساعد في تحليل الخطاب من خلال فهم المعلومات التي يفترضها المتكلّم.

المبحث الثّاني: رواد النّهضة اللّغويّة

نشأت اللّغة كأداة للتّواصل والفهم؛ لذلك كان الاهتمام بها وبوسائلها جزءًا من ثقافة الشّعوب وديدنها وقد مرّت دراستها بثلاث مراحل المرحلة الأوّلى قبل أن يتحدّد هذا الهدف؛ المرحلة الأوّلى كانت من خلال (القواعد) وقد بدأت من الإغريق مرورا بالفرنسيين واعتمدت على علم المنطق، ثمّ بدأت الثّانيّة بظهور فقه اللّغة (الفيلولوجيا) فقد وجدت مدرسة لفقه اللّغة في (الإسكندريّة) ولم تكن اللغة الهدف الوحيد لهذه الحركة؛ بل أنّ علماءها اهتموا بتصحيح النّصوص الأدبيّة وبالعادات والتّقاليد والنّظم الاجتماعيّة وغيرها واستعمل هؤلاء أساليب النّقد في دراستهم لأنّ هدفهم الأساس من هذه الدّراسات كان مقارنة بين النّصوص الّتي كتبت في فترات زمنيّة مختلفة، (عزيز، 1985.، صفحة 19)

لابدّ لنا من الإشارة إلى أنّ بعض العلماء ومنهم أحمد محمّد قدور قد اعتبر أنّ ترجمة (الفيلوجيا) إلى فقه اللّغة هو ترجمة خاطئة لأنّ أهم ما تعنى به الفيلولوجيا هو تحقيق النّصوص وفكر رموز النّقوش وإعدادها للنّشر العلميّ وهذا يعتبر على حد قوله أنّ هذه الدّراسة لم تتعدَّ حدود العمل التّمهيديّ اللّازم لدراسة اللّغة (قدور، 2011، صفحة 9)

ظهرت مرحلة ثالثة هي مرحلة (فقه اللّغة المقارن) عندما بدأ العلماء بمقارنة اللّغات السنسكريتيّة باللّغات الألمانيّة والإغريقيّة واللاتينيّة وقد تزعم هذه المرحلة المستشرق الإنكليزيّ (ويليام جونز) (عزيز، 1985.، صفحة 19)

إلّا أنّ التّصنيف الاستعماريّ للّغات المتعمد على الأجناس البشريّة إذ كانت اللّغة تصنف وفق المعطيات الاستعماريّة، فضلًا عن الفهم بكون اللّغة أداة للتّواصل والفهم، جعل العلماء يتجاوزون حلقة الجدل التّاريخيّ إلى حلقة التّأويل الفلسفيّ وظهور ما يعرف بألعاب اللّغة (تومي، 2013، صفحة 11) ومنظرها الجديد الّذي يصبّ اهتمامه على فهم اللّغات في سياقيها الثّقافيّ والاجتماعيّ؛ ممّا يظهر أهميتها كوسيلة للتّواصل والتّفاعل والتّفكير وقد اعتبر الفلاسفة هذا التّباين في اللّغات جزء من تباين البشر وتباين ثقافاتهم وأنماط عيشهم.

بعد عصر النّهضة جعل المذهب الوضعيّ (بوزيتويسم)المعرفة العلميّة في مقابل الم1عرفة الفلسفيّة والميتافيزيقيّة معتبرًا أنّ العلوم التجريبيّة هي الوحيدة الّتي تستحق تسميتها بالعلم وأطلق على جميع العلوم غير التّجريبيّة اسم الفلسفة لتشمل (المنطق) وعلم المعرفة والميتافيزيقا ومعرفة الله وعلم النفس وعلم الجمال والأخلاق والسّياسة (عرافي، 1433، صفحة 15)

أكّد العلماء أنّ أوّل من جاوز حقلها التّاريخيّ إلى حقلها الفلسفيّ الّذي جعلها تصبح هي بؤرة التّفلسف كانت على يد الفيلسوف (كوتشه) وهو فيلسوف إيطاليّ يعدّ واضع مصطلح فلسفة اللّغة كانت له العديد من الكتب عن اللّغة منها (المنطق) و(فلسفة العمل) و(علم الجمال باعتباره تعبيرًا وعلمًا عامًّا للّغة) (تومي، 2013، الصفحات 11-12)

كان بحث الفلسفة في اللّغة ينصب على معرفة وفهم اللّغة وفهم المراد من ملفوظاتها من منظور فلسفيّ حيث يتمّ دراسة اللّغة بأعتبارها ظاهرة فلسفيّة وتحليل دورها في الفكر والثّقافة (بحث فلسفة اللّغة يتعلّق أساسا بتخرجات الفلسفيّة بأدوار الغرضيّة العامّة للغة فلسفيًا أي يتعلّق باللّغة منظورًا إليها فلسفيًا) (تومي، 2013، صفحة 13)

انطلاقا من هذا التّفكير تشكّلت التّيارات الفلسفيّة لدراسة اللّغة كانت كلّها منبثقة عن نظريات منطقيّة وألسنيّة وتأويليّة تشجرت على ثلاثة فروع لتكون الفلسفة التّحليليّة، والمنعطف التّأويليّ، والمنعطف اللّسانيّ (تومي، 2013، صفحة 13).محط دراستنا في هذا أوّل مدرسة ظهرت في "كمبرج" في "إنجلترا" وكان روادها "فريجه" و"مور" و"رسل" و"فتغنشتاين" الّذين جعلوا الفلسفة منصبّة على اللّغة وتحليلاتها للتّخلص ممّا يخالط المنطوقات من لبس أو غموض أو خلط (جميل، 2012، الصفحات 25-52)، أمّا مصدر الأفكار التّداوليّة في ألمانيا هو فلسفة التّرنسدانتالية والهرمينوطيقا والجدل بين الذّات والموضوع طريقة والجدل بين الذات والموضوع الذّي عوضّه الجدل بين الذّات والمستمع (الرّحيم، 2016، صفحة 13)

أمّا عن الفلاسفة الأمريكيّين فقد جعل "موريس" التّداوليّة بوصفها علاقة العلامات بمؤوليها) أنّها تتعامل مع مظاهر حيوية للسميوزيس وهي جميع الظّواهرالسيكولوجيّة والبيولوجية والاجتماعيّة الّتي تصاحب توظيف العلامات علاوة على أن البنيّة اللّغويّة هي النّظام من السّلوك باعتبار وجهة النّظر التّداوليّة. (الرّحيم، 2016، صفحة 27)

قد أكّد العلماء أنّ مصدر حركة التّحليل ينسب إلى الرّياضيين الّذين عملوا على تطهير الرّياضيات من المغالطات والتّفكير المتسرّع من أمثال "فريجه" فقد كانت له مساهمة خاصّة في هذا الجانب كما سنرى

1- جوتلوب فريجه (1884-1925)

كان "فريجه" أستاذًا للرّياضيات في جامعة "بينا" وكان بحثه الرّياضي متركزا حول إشكالية واحدة وهي إيجاد أسس منطقيّة لهذا الفكر الرّياضيّ (جميل، 2012، صفحة 27)

كان مبدأ "فريحه" قائم على أنّ الجملة هي الوحدة الأساسيّة في استخدام اللّغة؛ حيث أنّها المحرك الأساسيّ لها ففيها يمكّن المرء لغته فيستخدمها أي ينطق

بشيء ما فلا يمكن أن ننجح في فهم الكلمات المفردة إلّا من خلال النّظر إليها كعامل مساهم في صياغة واستخدام الجملة ويرى أيضا أنّ التّطبيق الرّئيسيّ للجملة هو ذلك الّذي نستخدمها فيه لأجل التّقرير أي أن نقول شيئا إمّا أن يكون صادقًا أو كاذبًا ومن ثمّ فإنّ فهم معنى الكلمات يعتمد على ارتباطها بقدرتنا على التّحديد المطلق لصدق أو كذب جملة معيّنة تمثّل تلك الكلمات مكوناتها (جميل، 2012، صفحة 36)

2- لودفيغ فتغنشتاين (1889-1951)

فيلسوف نمساويّ تتلمذ على يد الفيلسوف "رسل"حيث اهتم بتصوير الملامح الفعلية الحديث اليومي خلال منهج معروف باسم منهج العاب اللغة أوضح هناك كيف تستخدم اللغة في استعمالها العادي من قبل متخاطبين العاديين وكيف يمكن أن يتوسع هذا الاستعمال إلى صعوبات فلسفيّة لا يمكنه تسهيلها إلّا بوساطة الرّجوع إلى المعطيات الخارجيّة سياق التّلفظ ومعطيات المقام (جميل، 2012، الصفحات 52-53)

تأثر بالمنحى العام لفلسفة "فريغه" ومن خلال نظرياته ومعطياته أسس اتجاهًا جديدًا سماه اللّغة العاديّة الموضوعة للحديث عن طبيعة اللّغة وطبيعة الدّلالة في اللّغات المتكلّم العاديّ ولعل أبرز ما يميّز فلسفته

1- ذهابه إلى أنّ المعنى ليس ثابتًا ولا محدّدًا.

2- دعوته إلى تجاهل وترك البحث في المعنى المنطقيّ.

2- تمّت بوساطته نقله من نموذج اللّغة القائم على معيار التّحقّق إلى النّموذج القائم على التّواصل والتّأويل (تومي، 2013، صفحة 14).

3- براتاند رسل(1872- 1970)

يّعرف بفيلسوف القرن؛ كونه لم يترك مجالًا من المجالات التي تهم أبناء جلدته إلّا وكان له رأي فيها فهو لم يكن فيلسوف فحسب بل كان رياضيّ ومنطقيّ وسياسيّ ورجل تربيّة وإصلاح (جميل، 2012، صفحة 47)

أنبهر هذا الفيلسوف بالعلم ومنجزاته؛ فاقترح "رسل" منهجًا جديدًا سماه "المنهج العلميّ وهو منهج يقوم على تحليل المركبات إلى عناصرها البسيطة أي أنّه قائم على تحليل المركبات وإعادة صياغتها بعد حذف المركبات الّتي لا نكون على معرفة مباشرة بها (جميل، 2012، صفحة 50).

4- جورج إدوار مور(1873-1958):

قدم هذا الفيلسوف مقالًا بعنوان (دفاع عن الحس المشترك) دافع فيه عن معتقدات الحسّ المشترك وأكّد على ضرورة التمييز بين الملفوظات الّتيالمعروفة قطعًا أنّها صادقة وتحليلات هذه الملفوظات الّتي نسعى من خلالها إلى تقرير وإثبات معناها الكامل بمعنى أنّ هذا الحسّ يمدّنا بكلّ الحقائق الموثوق بها.

ومن خلال هؤلاء الرّواد وفلسفتهم التّحليليّة ظهرت العديد من النّظريات أهمها النّظريّة العلميّة لـ"رسل" ونظرية الاستعمال أو الألعاب اللّغويّة "لفتغنشتاين" والنظرية السّايكولوجيّة لغرايس ونظريّة الأفعال الكلاميّة لـ"أوستن"و "سيرل" وغيرها.

المبحث الثّالث

أثر النّهضّة العلميّة في الدّراسات التّداوليّة

بعد أنّ واجه المنطق وتحليلاته في مطلع القرن العشرين نقدًا لاذعًا من النّاقمين عليه ورافضين تحليلاته ونتيجة لتضارب الأراء بين ترك الممارسة التّجريديّة والتّحول عنها إلى التّجريبيّة ظهر حركة فكريّة سميّت "المنعطف اللّغويّ" كردّة فعل على ما أراده العلماء من إعادة النّظر في مدى صلاحيّة القضايا لوصف العالم بما فيه من وقائع وأحداث (الأنصاريّ، 2019، صفحة 31) وحركة المنعطف الفكريّ هي حركة فلسفيّة واقعيّة ظهرت في القرن العشرين دعت بشكل كبير ومباشر إلى أن تكون المعالجة الكليّة للقضايا والوقائع تكون عن

طريق اللّغة (حمود، صفحة 11) وكان أبرز فلاستها هم "أوستن" و"لودفيغ فتغنشتاين" (الأنصاريّ، 2019، صفحة 31).

بدأ علماء اللّغة وفلاسفتها بإجراء الدّراسات اللّغويّة على أساس منهجيّ تطبيقيّ؛ حيث انصرفت أعينهم صوب المقولات الّتي تحاكي واقع الحياة وتحاكي المعطيات الخارجة عن نطاق الملفوظات، لذلك توجهت الأنظار صوب المنهج التّداوليّ وقد ساهم في هذا التّوجّه ممهدات عديدة ومتتاليّة منها:

1. التّداخل والتّكامل بين العلوم والمعرفيّة كعلم النفس وعلم الاجتماع وعلوم الاتصال والعلوم المعرفيّة والفلسفة والمنطق واللّسانيّات...إلخ جعلت الدّرس اللّسانيّ سائر إلى اتجاهين مهمين :اتجاه شكليّ صوريّ يميل إلى رؤية ظاهرة عقليّة ودوس على نظام مستقل واتجاه وظيفيّ يرى أنّ اللّغة ظاهرة اجتماعيّة فيدرسها على هذه الأساس التّداوليّات علم استعمال اللّغة، وبما أنّ الأبحاث التّداوليّة محط تلاقي العلوم المعرفيّة وفضاؤها مفتوح على شتى العلوم الإنسانيّة فقد تحقّق فيها هذا التّكامل فصارت الرّائدة بنظريّاتها في هذا العصر.

2. انحسار المعنى بقسمين تأثيل مضموني وتأثيل بنيويّ، أمّا الأوّل الّذي يتّصل ويتداخل مع المنهج التّداولي فيضمّ بين دفتيه التّأثيل اللّغويّ والاستعماليّ والنّقليّ أمّا الثّاني فيضمّ الاشتقاقيّ والتّقابليّ والحقليّ (الرّحمن، فقه اللّغة2 القول الفلسفيّ كتاب المفهوم والتّأثيل، 2005، صفحة 168).

يمكن القول: إنّ التّداوليّة في نشأتها الغربيّة ليست إلّا امتدادا لما هو موجود أيضًا من ممارسات تحصليليّة في التّراث العربيّ القديم. فالتّراث العربيّ ثري بأبعاد تداوليّة ظهرت لنا من خلال مجموعة الممارسات التّحليليةّ في المقولات والنّصوص العربية المتناثرة في أمهات الكتب.

أدرك العلماء أنّ اللّغة بمفرداتها وعباراتها لا تشكّل في نهاية الأمر سوى صورة تركيبيّة دلاليّة ذات معان متعدّدة إن لم ينظمها رابط مقاميّ يكون حاضرا في كلّ تواصل بين الأفراد. فالبلاغة العربيّة بأساليبها المختلفة الواردة في علم المعاني

وعلم البيان أدوات تعبيريّة ووسائل أسلوبيّة يستخدمها المرسل في التّعبير عمّا يريد.

إنّ إدراك المعنى وفهم مكنونه يتطلّب من المتلقي وعيًا تامًّا بمقام الحديث الّذي يعدّ أساسا في الكشف عن غاية التّواصل. كذلك أدرك النحاة العرب القدماء أنّ النّحو العربيّ ليس مجرد تغيير في أواخر الكلم، وأنّه ليس مجرد وسيلة لتفادي اللّحن وأنّه لا يقتصر على معرفة الصّواب والخطأ في ضبط أواخر الكلمات فقط بل أدركوا أنّ لكلّ تركيب هدف وغاية ومقام تواصلي فسعى كثير منهم للرّبط بين المقال اللّغويّ والمقام التّواصليّ في التّحليل والتّأويل التّركيبيّ.

النّهضة العلميّة وأثرها في اللّغة

أثرت النّهضة العلميّة في تطوير المنهج التّداوليّ من عدّة جوانب منها:

1- تطوير الجوانب النّظريّة:

وتتمثّل في تطوير المفاهيم والنّظريّات التّداوليّة فقد ساهمت النّهضة العلميّة في تطوير مفاهيم جديدة فيها مثل مفهوم "تحليل الخطاب" ومفهوم "التّداول" ومفهوم "السّياق" وغيرها فقد أضحى تحليل الخطاب مستندًا على معطيات داخليّة وخارجيّة بعد أن كانت مقتصرة على نسق واحد هو المعطى الدّاخلي فهي كانت متقوقعة داخل البنيات اللّغويّة ومفرداتها، أمّا المعطيات الدّاخليّة الّتي يستعملها المتكلّم فتتمثّل في وسائل التّشكيل الصّوتيّ والصّرفيّ والتّركيبيّ للبنيات اللّغويّة وأمّا المعطيات الخارجيّة فيمثّلها المتخاطبين (المتكلّم والسّامع) والسّياق بشطريّه المقاليّ والمقاليّ فضلًا عن الإشارات الجسمانيّة كحركات اليد وتعابير الوجه، كل هذه المفاهيم تمّ تقعيدها وتطويعها كونها وسائل تقويّة يستعملها التّداوليون لتحقيق أغراضهم التّأويليّة (نايلة، 2012، الصفحات 89-90) كما ساهمت النّهضة العلميّة في تطوير نظريات جديدة في التّداولية، مثل نظرية "التداول الوظيفي" ونظريّة "التّداوليّة العرفانيّة" ونظريّة "التّداول التّواصليّ".

2- تطوير الجوانب المنهجيّة وأساليبها:

النّهضة العلمية ساهمت في تطوير أساليب جديدة في التّداوليّة، مثل طريقة "التّحليل التّداوليّ" وطريقة "التّحليل التواصلي" فالتّداوليّة ظهرت كردّة فعل على عجز المناهج الموجودة وخاصّة البنيويّ المقتصر في تحليل النّصوص على دراسة وتحليل البنيات وفق دلالاتها المعجميّة فقط إذ تعدّت التّداوليّة في تحليلها إلى دراسة التّواصل بوساطة مبادئ عديدة سميّت بمبادئ الاستدلال منها القصديّة جعل الفلاسفة المنطوقات قائمة على عنصر القصديّة وأن أي ملفوض لا يخضع لقواعدها ومبادئها يكون بلا أهمية ولا فائدة أي أنّ لا كلام من دونها وانّها أصل كلّ المنطوقات (الرّحمن، اللّسان والميزان أو التّكوثر العقليّ، 1998، صفحة 103)، ويتم التّأويل بخطوتين متتاليتين: الأوّلى تكون من خلال المؤول إذ يتوصل إلى التّأويل الحرفيّ لجميع مكونات الجملة ليستعملها بقصد صياغة المضمون القضويّ الّذي ظهر حرفيا بالنّظر إلى السّياق المعطى، والثّانية على أساس الجملة ومجموعة المبادئ الحواريّة يُستدل على ما يعنيه المتكلّم وهو المعنى المنطلق من القضية المعبّر عنها حرفيًّا (كروم، 2018، صفحة 13) فضلًا عن وجود عنصر آخر يتماثل مع القصديّة من حيث الأهميّة وهو مبدأ الإضمار التّداوليّ القائم على الملفوظات المستعملة في سياقات خاصّة كثيرًا ما تكسب معانٍ مضافة أي أنّها تحتوي على الكثير من الدّلالات غير مصرح بها تتولّد بوساطة التّفاعلات التّواصليّة (صلبيا، 1982، صفحة ج1، 762).

3- تطوير الأدوات:

طورت النّهضة العلميّة أدوات تداوليّة جديدة، مثل أدوات التّحليل التّواصليّ؛ حيث شهدت هذه الفترة نشاطًا كبيرًا في مجال اللّغويّات والفلسفة، ممّا أدى إلى ظهور أدوات لفهم وتحليل الخطابات المنطوقة والمكتوبة في التّواصل والتّفاعل الاجتماعيّ، منها النّحو التّوليديّ الّذي يدرس كيفية بناء البنيات اللّغويّة من خلال فهم القواعد النّحويّة، واللّسانيات الاجتماعية الّتي تدرس كيفية استخدام اللّغة في التّواصل والتّفاعل الاجتماعيّ من خلال فهم التّفاعلات الاجتماعيّة بسياقاتها

المتبايّنة، وصولًا إلى التّحليل التّداوليّ الّذي يُعنى بتحليل اللّغة في التّواصل والتّفاعل الاجتماعيّ من خلال فهم السّياق والتّفاعل بين المتخاطبين وقد ساهمت هذه الأدوات في تطوير التّفكير النّقديّ وتطوير البحث العلميّ النهضة العلمية ساهمت في تطوير البحث العلمي في مجال التداولية من خلال استخدام المنهجيات العلمية في تحقيق وتحسين عمليتيّ التّواصل والتّفاعل الاجتماعيّ فضلًا عن تطوير المفاهيم الثّقافيّة إذ ساهمت في تطوير مفاهيم ثقافيّة جديدة حول التّداولية في الثقافات المختلفة كلّ ذلك كان له الأثر في تطوير وإتساع تطبيقاتها فقد شملت كلّ الخطابات اللّغويّة الشّعريّة والنّثريّة التّعليميّة والمسرحيّة والقصصيّة وغيرها بل أنّها اتسعت لتصف الوقائع والأحداث.

الخاتمة:

لعبت النّهضة العلميّة دورا في التّأسيس لما يسمى باللّسانيات التّي ساعدت على ظهور مناهج متعدّدة منها المنهج التّداوليّ الّذي يهتم باللّغة التّواصليّة والتّفاعل الاجتماعيّ.

تشمل التّطبيقات التّداوليّة كلّ الخطابات اللّغويّة بما في ذلك الشّعريّة والنّثريّة والتّعليميّة والمسرحيّة والقصصيّة ودور النّظريات اللّغويّة، مثل نظريّة الأفعال الكلاميّة والاستلزام الحواريّ ومراعاة القواعد التخاطبيّة ومبدأ التّعاون في الحوار، في فهم التّواصل اللّغويّ.

أسهمت النّهضة العلميّة في تطوير البحث العلميّ من خلال استعمال المنهجيات العلميّة. فضلًا عن كونها ساهمت في تطوير مفاهيم ثقافيّة جديدة حول هذا المنهج في الثّقافات المختلفة.

شاركت اللّسانيّات في تطوير مفاهيم جديدة، مثل مفهوم "الألعاب اللّغويّة" و"الاستعمال" و"التّواصل" كما شاركت في تطوير الفكر الفلسفيّ من خلال التركيز على اللّغة وتحليلاتها.

برز في هذا المقام العديد الفلاسفة مثل "فريجه" و"مور" و"رسل" و"فتغنشتاين" إذ كان لهم الدّور الأكبر في تطوير الفلسفة التّحليليّة من خلال نظرياتهم وأفكارهم ؛ فقد أكّدوا أهمية التّحليل اللّغويّ في فهم المعنى والكشف عن غاية التّواصل وإدراج الفهم السّياقيّ الاجتماعيّ والثّقافيّ فضلًا عن المقاصد في تحليل الخطابات.

أدركت الفلسفة التّحليليّة ضرورة تكامل العلوم في الدّراسات اللّغويّة لما لهذا التّداخل والتّكامل بينها من أهميّة في تطوير الدّرس اللّسانيّ وتوجيهه نحو إحدى المناهج اللّسانيّة وهو المنهج التّداولي.

المصادر

جورج يول ترجمة قصي العتابيّ. (2010). التّداوليّة. الدّار العربيّة للعلوم- دار الإيمان.

،منى علي عبد أبو نايلة. (2012). ينظر: شعر محمّد حسين آل ياسين دراسة تداوليّة. العراق: كليّة الآداب/ جامعة بغداد.

أحمد كنون. (2015). التّداوليّة بين النّظريّة والتّطبيق دار النّابغة للنّشاط والطّباعة. دار النّابغة للنّشاط والطّباعة.

أحمد محمّد قدور. (2011). مبادئ اللّسانيّات. بيروت: الدّار العربيّة.

العياشيّ أدواريّ. (2011). ينظر: الاستلزام الحواريّ في التّداول اللّسانيّ. الجزائر: منشورات الاختلاف.

تأليف فيردينان دي سوسور، ترجمة يوئيل يوسف عزيز. (1985). ينظر: علم اللّغة العام، بغداد: دار آفاق عربيّة 9.

تأليف مجموعة من الأكادميّين العرب، تحرير وإشراف اليامين بن تومي. (2013). ينظر: فلسفة اللّغة قراءة في المنعطفات والحدثيات الكبرى. بيروت: دار الرّوافد الثّقافيّة.

ترجمة حافظ إسماعيل علوي، ذهبيّة حمو الحاج، منتصر أمين عبد الرّحيم. (2016). تساؤلات التّداوليّة وتحليل الخطاب. عمان: دار كنوز.
جمال حمود. (بلا تاريخ). ينظر: فلسفة اللّغة عند لودفيغ فتغنشتاين. الجزائر: الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف.
جميل صلبيا. (1982). ينظر: المعجم الفلسفيّ. بيروت: دار الكتاب اللّبنانيّ.
جون سيرل، ترجمة: سعيد الغانميّ. (2006). ينظر: العقل واللّغة والمجتمع. منشورات الإختلاف.
حاتم أوس الأنصاريّ. (2019). ينظر: سلطة الخطاب الشّعريّ. دار كنوز المعرفة.
حافظ عليويّ. (2011). ينظر: التّداوليّات علم استعمال اللّغة. الأردن: عالم الكتب الحديث.
حمادة صبريّ صالح جبر. (2019). ينظر: التّداوليّة في النَّصّ الشّعريّ الحديث. دار النّابغة.
روبيرمارتان، ترجمة الطّيبكوش، صالح الجابريّ، بشير الرّوهانيّ. (2006). في سبيل منطق للمعنى روبيرمارتان.
صلاح إسماعيل. (2017). ينظر: فلسفة اللّغة. القاهرة: الدّار المصريّة اللّبنانيّة.
طه عبد الرّحمن. (1984). البحث اللّسانيّ والسيميائيّ. الدّار البيضاء: مطبعة النّجاح الجديدة.
طه عبد الرّحمن. (1998). اللّسان والميزان أو التّكوثر العقليّ. الرّباط: المركز الثّقافيّ العربيّ.
طه عبد الرّحمن. (2000). أصول الحوار وتجديد علم الكلام0. المركز الثّقافيّ العربيّ.
طه عبد الرّحمن. (2005). فقه اللّغة2 القول الفلسفيّ كتاب المفهوم والتّأثيل. بيروت- لبنان: المركز الثّقافيّ العربيّ.

عبد الملك مرتاض. (2010). ينظر: نظريّة النّصّ الأدبيّ. الجزائر: دار هرمة.
عبد الهاديّ الشّهريّ. (2015). ينظر: استراتيجيات الخطاب (مقاربة تداوليّة لغويّة). دار كنوز المعرفة.
عز الدّين النّاجح. (2015). تداوليّة الضّمنيّ والحجاج بين تحليل الملفوظ وتحليل الخطاب بحوث ومحاولات. تونس: مركز النّشر الجامعيّ.
عزيزة فوال بابيتي. (1994). ينظر :موسوعة الأعلام العرب والمسلمين العالميّين عزيزة فوال بابيتي. بيروت: دار الكتب العلميّة.
علي رضا عرافي. (1433). الفلسفة بحث فهي في دراسة الفلسفة. مؤسسة الإشراق والرفان الثقافية.
فرانسوا ريكاناتيّ، ترجمة أحمد كروم. (2018). ينظر: المعنى الحرفيّ. بنغازيّ: دار الكتب المتحدّة.
فيليب بلانشيه ترجمة صابر حباشة. (2007). التّداوليّة من أوستن إلى غوفمان. دار حوار للنشر والتّوزيع.
كاترين كيربرات- أور كيوني ترجمة: ريتا خاطر. (2008). المضمر. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
محمّد مهران رشوان، عصام زكريا جميل. (2012). ينظر: فلسفة اللّغة. عمان: دار المسرة.
محمود عكاشة. (2013). النّظريّة البراغماتيّة اللّسانيّة. القاهرة: مكتبة الآداب.
مختار درقاويّ. (2017). التّصور الأصوليّ للمعنى. دار الكتب العلميّة.
مسعود صحراويّ. (2005). التّداوليّة عند العلماء العرب. دار الطّليعة.
نجم عبد الواحد الجيزانيّ. (2019). العدول التّركيبيّ في النّحو العربيّ دراسة تحليليّة في ضوء المنهج التّداوليّ. دار الكتاب الجديد المتّحدة.